مجلة التربية للعلوم الانسانية

مجلة علمية فصلية محكّمة، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل

الآخر في شعر ابن الزَّقَّاق البلنسي

كوفان حسين صالح علي [1]

الجامعة التقنية الشمالية \ معهد الإدارة التقني – نينوى \ قسم تقنيات المحاسبة / الموصل – العراق [1]

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : 2025/8/4

تاريخ المراجعة : 2025/8/26

تاريخ القبول : 2025/9/17

تاريخ النشر : 2026/1/1

الكلمات المفتاحية :

الذات ، الخطاب ، وعي ، طبيعة ، الآخر

معلومات الاتصال

كوفان حسين صالح

kov.hussin@ntu.edu.iq

الملخص

يمثِّل الآخر النواة الَّتي بها تكتمل بنية الخطاب الأَدبي العربي، وقد برز ذلك جليًا في الأَدب العربي عامَّة، والأَدب الأَندلسي بشكل خاص، لقد سلَّط البحث الضوء على الآخر لفهم بنية القصيدة الشعريَّة، ومعرفة ألوان صورها المتعددة، وحضور الآخر يستدعي حضور الأَنا فيحدث تفاعل أَدبي تنطلق فيه الأَخيلة بأَبعاد فلسفيَّة واضحة المعالم.

لقد جسَّد شعر ابن الزقَّاق البلنسي صورة الآخر تصويرًا بديعًا أعطى صورة ناصعة عن الأَدب الأَندلسي، وقد بيَّن ابن الزقاق في شعره أَنَّ الآخر ليس ندًا للذات بل جزءٌ لايتجزأ منها، فتتصهر بينهما حدود التداخل، ويمنح ابن الزقَّاق صورة الآخر بوصفه شريكًا وجوديًا لا عدوًا متربصًا، فيعكس روح الاندماج في الأَدب الأَندلسي.

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

The Other in the Poetry of Ibn Al-Zaqqaq Al-Balansi

Kofan Hussein Saleh Ali [1]

Northern Technical University/ Technical management Institute Nineveh - Department of Accounting Techniques / Mosul - Iraq [1]

Article information

Received : 4/8/2024
Revised 26/8/2025
Accepted : 17/9/2025
Published 1/1/2026

Keywords:

,self, discourse consciousness, nature, other

Correspondence:
Kofan Hussein Saleh
kov.hussin@ntu.edu.iq

Abstract

The other represents the nucleus through which the structure of Arabic literary discourse is completed. This has been clearly evident in Arabic literature in general, and Andalusian literature in particular. The research has shed light on the other to understand the structure of the poetic poem and to know the colors of its multiple images. The ,presence of the other calls for the presence of the ego creating a literary interaction in which imaginations are launched with clear philosophical dimensions.

Valencian poetry embodied the image of the other in a wonderful way, giving a clear picture of Andalusian literature. In his poetry, Ibn Al-Zaqqaq showed that the other is not an equal to the self, but rather an inseparable part of it, so the boundaries of overlap are fused between them. Ibn Al-Zaqqaq gives the image of the other as an existential partner, not a lurking enemy, thus reflecting the spirit of integration in Andalusian literature.

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المُقدِّمة:

يُعد "الآخر" اللبنة الأساسية في بنية الخطاب الأَدبي العربي؛ إذ إنَّ الذات من دون الآخر في العمل الأَدبي لا تتجلى صورتها في بنية القصيدة الشعرية وحتى في صورها المتنوعة، ولا يمكن للذات أن تتجلّى في العمل الأَدبي دون أن تتقاطع أَو تتواجه مع صورة مغايرة عنها؛ فالأَدب بطبيعته فضاء تتفاعل فيه الذوات وتتصادم أَو تتحاور، ليولد من هذا التفاعل حضور "الأنا" في مقابل "الآخر"، سواء أكان هذا الآخر فردًا أم جماعة أم ثقافة مختلفة (ناظم ، 2014 ، 313) .

ويمثّل "الآخر" انعكاسًا للرؤية الذاتية؛ فهو ليس مجرد عنصر خارجي، بل مرآة تسلّط الذات بها الضوء على فهمها للعالم ولنفسها، ومن منظور فلسفي لا يمكن للذّات أن تتكوّن أَو تُدرك ذاتها إلَّا بتمييزها عن الآخر؛ إذ تقوم العلاقة بين الأنا والمغاير على جدلية حيوية تؤسس للوعي وتعيد تشكيل الهوية (محمد ، 2006 ، 207) ؛ فالآخر بحسب هذا الفهم ليس تهديدًا خارجيًا، بل مكوّناً جوهرياً في بناء المعنى، وحدّاً ضرورياً يعين الذات على إدراك وجودها.

وتختلف تصورات الآخر في الأَدب العربي بحسب المحيط التاريخي والاجتماعي والنفسي، فقد يظهر في بعض النماذج مثل خصمٍ أَو تهديد، وفي أُخرى مثل شريكٍ في الحضارة أَو موضوعٍ للإعجاب والتأمل؛ فالذات لا تُبنى بمعزل عن الآخر، بل بمواجهته، ووفقًا للمنظور النفسي، فإنَّ الآخر يشكّل موضعًا لصراعاتها الداخلية بين القبول والرّفض، والرّغبة والخوف، والاندماج والانفصال، وهو مرآة الوعي التي تنعكس فيها الهوية (صديق ،2021 ،32) ، ويظهر بها التوتر بين الأنا والمغاير، بين الذات وما تسعى إليه، وما تخشى أن تصير إليه.

ومن هنا لا يُفهم الآخر في الأَدب العربي أَنَّه ركن معزول، بل هو جزء من التكافؤ الفكري الجمالي والاجتماعيّ الذي يشكل النص، وتكشف عن سمات الذات ومداره الداخلي للهوية، وللكون وللاختلاف؛ إذ إنَّ الآخر اجتماعيًا يُعدّ تجسيداً لفرد أَو جماعة تختلف عن الذات الجماعية في اللغة أَو الدين أَو القيم ما يجعله محلاً لإنتاج الخطاب، ومنطلقًا لصياغة علاقة مركبة تتراوح بين الاحتواء والإقصاء، وبين الحوار والصراع (صديق ،2021 ،36) ؛ فيُعد الآخر تجسيداً لهوية الذات وعنصراً أساسيًا في إبرازه ؛ إذ لا تتجلى صورة الذات إلَّا بالآخر .

في النصوص الأُولى للأَدب العربي لم يكن "الآخر" إلَّا صورة سيئة للعدو؛ خصم أَو جزء في صراع أبدي، يُحمَّل بكل ما هو سلبي، ويوظف فقط ليُهاجَم ويُقصى، كانت العلاقة معه مواجهة مباشرة، لا مساحة فيها للتأمل أَو إعادة النظر، إلَّا أن هذه الصورة لم تدم، فمع انفتاح العرب على ثقافات أُخرى، بدأ الآخر يخرج من ثنائية "العدو" و"الرفض"، ليحل في فضاء أوسع من التفاعل المعرفي والجدلي، فتحوّل "الآخر" إلى نقطة اشتباك ثقافي وسؤال فلسفي: محفّز لإعادة تعريف الذات، وميدان لاختبار المفاهيم المتصلة بالهوية والانتماء (الراشدي ، 2016 ، 28–29) في الأَدب عامة، لم يُطرح بوصفه عدوًا فقط، بل بوصفه فاعلاً ضمن خطاب يسعى إلى

ترسيخ الذات أَو مساءلتها؛ إذ يتبدى الآخر بوصفه مصدراً للتحدي، ولكن أَيضًا بوصفه جزءاً لا ينفصل عن سيرورة تشكيل الوعي، وتوسيع أفق الذات وتفاعلها مع ما هو مختلف.

لم يكن استدعاء "الآخر" في الأَدب العربي مجرد ممارسة وصفية أَو بناء لصورة خارجية مغايرة، بل كان في جوهره فعلًا تأمليًا يُفضي إلى مساءلة الذات ذاتها؛ فحضور الآخر في النص الأَدبي كثيرًا ما يعمل بوصفه فاحصاً للوعي، يضيء مواقف الأَنا تجاه المختلف، ويعرّي آليات التمثيل التي تعتمدها في رسم أبعادها الثقافية والمعنوية، ويكشف توازنات القوى البارزة خلف التمثيل ذاته؛ إذ تتخذ العلاقة مع الآخر في هذا المجال أشكالًا متنوعة : من الاحتواء إلى الإقصاء، من الاستعلاء إلى الحوار، ومن الخوف إلى الفضول، وكل تصوير يعكس في عمقه، بنية فكرية ونفسية واجتماعيَّة تُخبرنا عن الآلية التي ترى بها الذات نفسها وحدودها في العالم (الخفاجي،2009، 13) ؛ فهو ليس مجرد انعكاس خارجي، بل دليل على تحوّلات الوعي الذاتي، وأداة لفهم المسارات التاريخية والثقافية التي مرت بها المجتمعات العربية.

لذلك، فإنَّ تتبع صورة الآخر في الأَدب العربي لا يكشف عن الآخر فحسب، بل يخبر عن مسارات تطور الوعي العربي، وتحوّلاته تجاه مفاهيم الهوية، والانتماء، والاختلاف؛ فالآخر في نهاية المطاف، ليس غريبًا تمامًا؛ إنه حدّ الأنا، وظلّها، ومرآتها التي ترى بها ما تريد أن تكونه، وما تخشى أن تصبحه.

وفي الأَدب الأَندلسي، لا يُنظر إلى "الآخر" فقط بوصفه صورة للغريب أَو المختلف، بل بوصفه كياناً يتداخل مع الذات ويثريها بأوجه متعددة، أحيانًا يُغدو موضوع إعجاب وتقدير، وأَحيانًا يتحول إلى تحدٍّ أَو سؤال عميق عن الهوية، وهذا الآخر ليس فقط "مغايرًا" بل هو جزء من شبكة علاقات إنسانيَّة معقدة، يعكس تنوع المشاعر بين المحبة والتوتر، بين القرب والابتعاد، وقد صور الأَدب الأَندلسي هذه التداخلات بأشكال متنوعة؛ إذ يحتل الآخر مكانًا يتجاوز مجرد الخصومة أَو الغربة، ليصير بنية أساسية في بناء النص الأَدبي وعوالمه الرمزية بين سطوره، نجد إشارات خافتة إلى شخصيات أُخرى تحمل بصمات التقدير والاحترام، تُستلهم منها مشاعر الحنين والاعتراف، ما يعكس عمق التفاعل بين الذات والمغاير(صديق ،2021 ،40–41) ، ويفتح المجال أمام الأَدب ليكون مسرحًا لحوار مستمر بين الحضور والغياب، القرب والبعد، الاختلاف والتلاقي.

ويتَّضح من ذلك أَنَّ الآخر في الأَدب العربي عمومًا، والأَندلسي خصوصًا، ليس صورة مقابلة فقط، بل عنصر رئيس في محور الذات وإدراكه، ومسار لفهم أَكبر للهوية والعالم، ولواقع الإنسان داخل دوامة غامضة من التفاعلات والانتماءات.

التوافق بين الذات والآخر:

إنَّ العلاقة بين الذات والآخر علاقة تفاعلية محورية تكامليَّة تراكميَّة لا يمكن استبعاد أَحد الطرفين؛ إذ يُعدُّ الارتباط بين الذات والآخر موضوعًا رئيسًا في النصوص الأَدبيَّة، وتتطور الهوية الإنسانيَّة بالتفاعل مع الأَنا الجماعية، لا بالفراغ، فيعكس "الآخر" ما تقبله الذات، أَو ترفضه (الغزالي ، 2004 ، 159) ،ويمكن أن يتخذ فرد، أَو ثقافة، أَو مفهوم، أَو حتى قوة رمزيَّة.

إن تقبل الآخر أَبرز لإثبات التجانس بين الذات والآخر من رفضه إنَّها عملية حوارية يُكون فيها الطرفان بعضهما بعضًا لتحقيق لحظات من التلاؤم والتعاطف والتجربة الإنسانيَّة المشتركة (صديق ،2021 ، 42) ، ويؤثران فيه ؛ إذ تتلاشى الحواجز بين الذات والآخر.

كيَّفَ العربي نفسه في علاقته بالآخرين – غالبًا بالصراع، وأحيانًا بالترابط وهذا ما ترجمه الشاعر العربي في شعره تجاه الآخرين، فيُتيح الأَدب مجالًا واسعًا تلتقي فيها الذات والآخر كركنين، لا كخصمين، ويتحقق التوافق في هذا اللقاء، ليس كتماثل، بل واعتراف متبادل.

تشكِّل المرأة في الأَدب العربي المحور الأَساس في بنية الرجل العربي على وجه العموم والرجل الأَندلسي على وجه الخصوص بسبب طبيعة الأَندلس والتمازج العرقي والثقافي، فأَدَّت المرأة دورًا كبيرًا في القصيدة الغزلية الأَندلسيَّة، فبرزت في الشعر الأَندلسي بصورة تفاعلية مع ذات الشاعر المحب لجمال المرأة الأَندلسية ولطبيعتها المرهفة .

وإذا ما بدأنا بشعر ابن الزقاق البلنسي لابد أن نبدأ بالغزل الذي ترك في ذاته الأثر الواضح؛ إذ يقول : (ديريني ، د.ت ، 129) الطويل .

ومُرْتَجَّةِ الأعطافِ أمّا قوامُها ... فَلَدْنٌ وأمّا رِدْفُها فرَداحُ

ألمّتْ فباتَ الليلُ من قِصَرٍ بها ... يطيرُ ولا غيرُ السرورِ جَناح

وبتُّ وقد زارَت بأنعَمِ ليلةٍ ... يُعانقني حتى الصباحِ صباح

على عاتقي من ساعِدَيْها حمائلٌ أَنَطْوت ... وفي خَصرها منْ ساعديَّ وشاح

تُصوَّر أَبيات ابن الزقاق المرأة على أَنَّها الآخر المتحرّك الحيّ المنصهر في الذات، فالآخر هنا ليست غاية يراد الوصول إليه أَو موضوع خارج ؛ بل وجود يتفاعل مع ذات الشاعر ليعيد بناءه وأحياءه بالعلاقة الجسدية العاطفية .

ففي البيت الأَوَّل يرسم الشاعر الآخر بين الثبات والحركة على أنه لوحة مفعمة بالحيوية والحركة والرغبة، فعبارة (مرتجة الأعطاف) دلالة على الحركة التي تأثر على شعور الذات الداخلي المضطرب الممتلئ بالعاطفة والجاذبية تجاه الآخر ؛ لأنه في حركة دائمة متباينة بين الرقة (قوامها لدن) والامتلاء (ردفها رادح)

فهذا التذبذب يشير إلى التوتر بين الثبات والتغيير في نفسية ابن الزقاق (الذات)، فالمرأة هي الآخر المتحرّك الذي يشل حركة الذات الداخلية العاطفية للشاعر تجاه الآخر، فتأسره بتقلباتها بين الثبات والحركة المربكة، وفي البيت الثاني والثالث تحول ذلك التذبذب وفي المشاعر والتوتر الحاصل نتيجة الثبات والتغيير إلى سرور وسعادة، فحضور الآخر (المرأة) هنا يعطي الذات (الشاعر) دافعًا قويًا يعينه لتغير موقفه من الزمن، فهذا الحضور غيّر المعادلة الزمانية (الصديقي ، 1995 ، 46–47) ‘عند الشاعر في تحويل الليل الطويل إلى لحظات سريعة لا تشبع رغبات الذات الشعورية المليئة بالفراغ الروحي والمادي تجاه الآخر، فحاول الشاعر أَن يعبر عن حلاوة الموقف ولذة هذه اللحظات بالصور البلاغية التي عبر عنها في هذه الأَبيات؛ إذ وظف الكناية في (فبات الليل من قصر بها انطوى) عن شدة الأنس والسرور ؛ فضلًا عن الاستعارة المكنية عندما جعل من الليل طائراً يطير، وصوره بجناحين من السرور ؛ مع استعمال التشخيص في جعل الليل ككائن حي، مع الجناس الضمني في (يطير و جناح)، فهذه الفنون البلاغية أعطت للمتلقي حافزا للتشويق الفكري والبصري في هذا النص الأَدبي(صديق ،2021 ، 303) ، ليبرهن لنا ابن الزقاق قيمة ذلك الانقلاب الروحي في الزمن الخارجي الذي يقابل تغيرا داخليا في الذات، فالآخر هنا ليس مجرد حدث مادي حسي بل يميل في ذاته إلى قوة فاعلة يعيد تكوين إحساس الذات بالزمان والوجود ؛ فهذا الإحساس الداخلي في ذات الشاعر يبين العلاقة الوجودية بين الذات والآخر، وفي البيت الأخير لوحة فنية جميلة رسمها ابن الزقاق بالاندماج المعنوي والحسي الحاصل بين الذات والآخر، فهذا التداخل والتشابك ب(حمائل و وشاح) تدل على الوئام الحسي والحماية الروحية الظاهر بينهما، فهذه اللوحة الفنية هي إفصاح عن تلك العلاقة التي اخفت جميع الحدود الملموسة بين الذات والآخر ليتحول إلى انصهار داخلي أزاحت ثنائية الذات والآخر .

وقد تكررت في هذه الأَبيات كلمات مثل (السرور، العناق، الزيارة الليلية، الصباح المتجدد) فهي إشارة إلى التجديد الروحي والتغيير الحسي في ذات الشاعر، فالآخر ليس تجربة إيجابية أَو حياة جديدة بل إعادة تعريف الذات بنفسه من خلاله .

يُعد الغزل بالمذكر حدثا أدبيًا بارزًا في الشعر العربي ولا سيَّما في الأَدب الأَندلسي الذي أخذ أبعادا جمالية وثقافية في الحاضنة الأَندلسية التي عرفت بالانفتاح والترف والحرية، تجاوزت بذلك عن الغزل بالمرأة، وهذا النوع من الغزل لم يعرف ببادئ الأمر في الأَندلس إنما هو انعكاس للثقافة العربية في العصر العباسي (محمود ، 1999 ، 211–212) ، فاصبح هذا الغزل وسيلة للتعبير عن الشعور الداخلي للشاعر تجاه واقع الأَدب في الأَندلس فبرزت بذلك ثنائية (الذات والآخر)؛ إذ يقول :(ديريني ، د.ت ، 190–191) الكامل .

مَطْلُولٌ أَمْلُودِ الصَّبَا مَيَّاسُهُ	**خَلَعَ الشَّبَابُ عَلَيْهِ فَهْوَ لِبَاسُهُ**
قَمَرٌ، وَأَكْنَافُ الْحَشَا آفَاقُهُ	**ظَبْيٌ، وَأَحْنَاءُ الضُّلُوعِ كِنَاسُهُ**
لَمْ نَدْرِ؛ إِذ جَاءَتْ بِنَكْهَتِهِ الصَّبَا	**أَتَضَوُّعَ الْكَافُورُ أَمْ أَنْفَاسُهُ** فأذْهَل
وَلَقَدْ عَيِينَا؛ إِذ تَوَالَى سُكْرُنَا أنَطْوت	**أَلَحَاظُهُ مَالَتْ بِهِ، أَمْ كَاسُهُ**
لِلْحُسْنِ مَرْقُوماً عَلَى وَجَنَاتِهِ	**سَطْرٌ، وَصَفْحَةُ خَدِّهِ قِرْطَاسُهُ**
إِنْ خَالَفَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنُ فِعْلَهُ أنَطْوت	**فَالسَّيْفُ يُطْبَعُ مِنْ سِوَاهُ رِئَاسُهُ**

يبدأ ابن الزقاق مقطوعته بوصف الآخر بصفات لرسم صورة مفعمة بالحركة لا من الجانب الخارجي فقط بل في الحضور الروحي الذي يشكل بداية لترسيخ الآخر في هذا النوع من الغزل ليس منعزلا بل كيانا مشتركا بين الذات والآخر لتبين تلك العلاقة التكاملية بينهم، وإن الأسماء المشتقة مثل (مطلول اسم مفعول، أملود صفة مشبه، مياس صيغة مبالغة) تعزز البعد الجمالي للآخر في ذات الشاعر، والبيت الثاني يؤكد ذلك إذ تتعمق العلاقة بينهما عندما شبهه بـ (قمر المضيء و آفاق الحشا) فالآخر هو المتنفس الوحيد الذي انعش الذات شعوريا من حيث الوعي واللاوعي وشبه في عجز البيت أيضًا بـ (ظبي وأحناء الضلوع كناسه) تعبير عن الجمال والرشاقة، والموطن الروحي الذي يعيشه الذات، فبالرغم من ضيق (الحشا) موضع القلب هنا و(الكناس) مأوى الظبي فضيق الموضعين في الحقيقة إلَّا أن الشاعر وسعهما مجازيا بحجم صدر المحبوب الواسع الذي يشمل ما بين الأرض والسماء المتمثلة بعلو القمر في السماء وانبساط الظبي في الأرض الذي يحتويه الآخر، مع تضيقه للواسع الخارجي المتمثلة بالمكان ؛ فضلًا عن استعمال الشاعر لصور كثيرة وذلك للتكثيف الحسي الشعوري في ذات الشاعر، لأن الصورة هي الافصاح الخارجي للحالة النفسية (الشايب ، 1964 ، 249) ، مع استعماله للجمل الاسمية لثبات المشهد الروحي في ذاته أيضًا .

وقد عبر ابن الزقاق في البيت الثالث عن اضطراب نفسي يتنفسه الذات في بروز الآخر أمامه، فعبارة (لم ندر) يجعل من الذات مترددا في تمييزه بين الأشياء كالكافور (العطر وهو استشعار خارجي) والأنفاس (وهو الأساس للحياة الداخلية) ،فالقلق والتوتر الذي فيه الذات يجسد التساؤل الذي يبرهن صراع الذات مع نفسه تجاه الآخر والتذبذب الشعوري الذي تجاوز المحسوس واللامحسوس في ذات الشاعر الذي عجز ان يميز بين الذات والآخر في مشهد يجعل من هذا الغزل انصهار وجودي بينهما . وبعد هذا الانصهار تستسلم الذات المتجلية في البيت الرابع للآخر كالخمر الذي يذهب العقول ويملأ الحواس، وعبارة (توالى سكرنا) دلالة على ديمومة انغماس الذات في دائرة الآخر المنغلقة على نفسها فيصعب الخروج منها، بينما يعكس عجز البيت التباس الذات

بين تأثير النظرات وتأثير السكر العاطفي، فبذلك تداخل الذات الكامل في عنفوان الآخر حتى تلاشت حدود التأثير، فهذا الأُسلوب هو أقرب إلى الطابع الصوفي الذي تجاوز به الغزل المباشر؛ فضلًا عن التكرار الصوتي الصادر عن (عيينا، سكرنا، كاسه) يمنح البيت حالة من الانسيابية (جرجيس ، 2014 ، 65) ، كالغياب عن الوعي الحاصل لذات الشاعر من هول الآخر، وهذا ما يؤكده الاستفهام الفلسفي العاطفي في هذا البيت . ففي البيت الخامس وظّف ابن الزقاق الصورة الحسية البصرية على غيرها من الصور كأنه فنان ينحت في صخرة ليبرز ملامح الآخر بأجمل صورة، فالمفردات (مرقوم، سطر، صفحة، قرطاس) التي تنتمي لحقل دلالي واحد تعطي طابعًا منسجمًا داخليًا قويًا لما يريد الشاعر التعبير عنه عاطفيًا وحسيًا، وأَعطت هذا المفردات إِيقاعًا حسيًّا ينسجم مع لوحة الشاعر التي تعجز الصور الشعرية الأُخرى أَن تحده بحدود مشابه لهذه الصور الحسية للآخر، والبيت الأخير يعطي بُعدًا أَخلاقيًا رائعًا لهذا العلاقة بين الذات والآخر؛ إذ يشترط الذات على الآخر أن تتطابق المحاسن مع الأفعال، فهذا يعكس أن الشاعر لا يهتم بالجانب الحسي فقط بل الجمال الداخلي أَيضًا ليحدث حالة من التوازن النفسي والشعوري الذي يبحث عنه الذات في الآخر، وما يخالف ذلك يكون السيف هو الحاسم والعادل، فهذه دلالة على تكامل الذات داخليا التي لا تنقاد للجمال الخارجي فقط، فهذا التوازي يجمع بين الجمال الداخلي والخارجي .

فالعلاقة بين الذات والآخر في مثل هذا الغزل ليس مجرد علاقة جسدية حسية بينهما وإنّما حضور جوهري تثبت للذات قيمتها بالآخر(رسل ، 2020 ، 915) ، وليس مجرد حب وعاطفة إِنَّما شعور داخلي وروحي تتيح للذات أشواطا للتأمل في وجود الآخر .

تناول الشعراء جميع المواضيع لأغراض عديدة وبنيات مختلفة إِلَّا أن موضوع (الأبناء) احتل مكانة بارزة في قلب الأنسان، ولاسيما الشاعر، الذي عبر عن هذه التجربة بمشاعر إِنسانيَّة صادقة بعيدا عن التكلف والتلفيق والتملق، فجاءت بتجارب شعرية مختلفة، فمنهم من أوصى أبناءه، ومنهم من تغنى بهم، ومنهم من يندب فقيده وغيرها من المواضيع الحياتية، فهي لا تقتصر على العواطف والمشاعر الصادقة فقط، بل قيم أَخلاقيَّة وثقافية متنوعة، وهذا ما نجده عند شاعرنا ابن الزقاق البلنسي في قوله : (ديريني ، د.ت ، 176–177) الطويل .

خليليَّ ما حبُّ البنين ببدعةٍ فهل أنتما فيه مقيمانِ من عذرِ

تقسَّم قلبي بين طفلين شطرُهُ لهذا وهذا قد تعلَّقَ بالشَّطر

صغيرين لم تَصْغُرْ حياتي عليهما ولا كان حظِّي باليسير ولا النزر

فمن قائلٍ آثرت سرَّاً محمداً وآخرُ إبراهيمَ تُؤْثِرُ في السرِّ

فقلتُ هما غصنان أَعْدِلُ فيهما إذا جار ذو النجلين عَدْلَ ندى القطرِ

وما استويا سنّاً ولكن تَساوَيا	**ولوعاً وحُبّاً في الجوانحِ والصَّدر**
محلُّهما في منزلِ القلبِ واحدٌ	**فحيثُ أبو بكرٍ فثمَّ أبو عمرو**
أُحبُّ صلاحَ الدهرِ في جانبيهما	**ولولاهما ما كنتُ أَخْفَلُ بالدهر**
فمن كان يبغي العمرَ مستمتعاً به	**فلا أبغِ إلَّا في صلاحهما عُمري**

تحمل هذه القصيدة في طياتها فضاءً من عواطف ومشاعر فياضة لطبيعة العلاقة بين الذات والآخر إذ تجد الذات نفسها بالآخر المتمثل بالأبناء بأسمى سمات الإنسانيَّة كمصدر للحياة ليعيد الشاعر بذلك طبيعة حياته العاطفية والوجودية تجاه الواقع ؛ فضلًا عن أنها لوحة فنية متناسقة الأبعاد، فيها من التأمل والتوتر ومصالحة الذات مع الآخر .

ففي البيت الأَوَّل يستهل الشاعر بالنداء الخفي تجاه الآخر بصوت مليء بالعاطفة النابع من الطبيعة البشرية ،والمستفهم غالبا ما ينتظر الإجابة إلَّا في النصوص الشعرية ليبقى ذلك في مخيلة المتلقي تأويلات وايحاءات متنوعة (البياتي ، 1989 ، 41) ، وهذا أنسب لحالة الشاعر النفيسة، ومن هذا التأويلات ليس لإشعار الآخر بالحب والأمان فقط إنما انتزاع القناعة منه أَيضًا، ؛ لأن الذات هنا في حالة توتر من الآخر الخارج فيبحث عن مصداقية لتخفيف هذا التوتر، فهذا الحوار الضمني يمنح البيت طابعا دراميا مليئاً بالحب الذي يحمل أبعادا دفاعية وعقلانية، وبذلك تبرز الفطرة الإنسانيَّة التي ولد عليها الإنسان، وفي البيت الثاني ينتقل الشاعر من مشاعره تجاه الآخر إلى توظيفه على الابنين بتوزيع عادل متساوٍ دون تشتت وضعف وهوان، فالشاعر كان ذكيا عندما لم يستعمل مفردة أُخرى مكان (تقسم) ليبقى قويا وكأنه يقول تقسيم دون انكسار، فالحب هنا ليس وحدة مطلقة بل تجسيد مادي يعمق العلاقة العاطفية بين الذات والآخر. فالذات تدرج من التبرير في البيت الأَوَّل إلى الوصف والشعور الملموس في هذا البيت، وفي البيت الثالث كسر لأفق التوقع بأن الصغر لا يكون عائقاً تجاه الذات ؛ بل قوة إضافية تمنح الذات التغلب على المحن فبذلك يحمل هذا البيت عمقا فلسفيا وجدانيا للتجربة التي يعيشها الشاعر، ويظهر في البيت الرابع صوت خارجي يريد زعزعة المشاعر والأحاسيس بصراع ذاتي داخلي يوقد إلى التوتر والقلق، يبدو من ذلك أن الذات تعيش في حالة من الذعر والتوتر والصراع الداخلي الذي يخشى أن يطفو، إلَّا أنه يتحلى بالقوة المكتسبة من الآخر ويأتي البيت الخامس ردا على المشككين بصورة مستوحاة من الطبيعة فيشبههما بغصنين يتفرعان من أصل واحد دلالة على العدل والمساواة بينهما، ويشبه هذه العدالة والمساواة بالمطر رمز العدالة والنماء الذي ينزل من دون تمييز على الأرض فهذه هي فطرة الله في عباده، فبذلك يزيل جميع الشبه بين علاقة الذات بالآخر، فقد أوغل الشاعر في الجانب البلاغي إذ وظّف أكثر من صورة بلاغية في هذا البيت من تشبيه تمثيلي في تشبيه عدالة الذات تجاه الآخر بعدالة ندى القطر في صورة تشمل الكرم

والمساواة ؛ فضلًا عن استعارة مكنية (غصنان) استعارة للأبناء تدل على الليونة والنماء والرقة، وطباق خفي بين (أعدل – جار) ففي ذلك ابراز لغاية نوايا الذات وتثبيته في نفوس المشككين، هذا ما يدفعهم إلى التأمل والتفكير أكثر في الذات، وكناية في (ذو النجلين) كناية عن أحد الابنين، فوظف ابن الزقاق هذه الفنون البلاغية تأييداً لأفكاره وغاياته تجاه الآخر، يظهر الذات في البيت السادس والسابع بأجلّ قيم الإنسانيَّة إذ يعانق الآخر برؤية أبوية بعيدة عن التفرقة، والذات هنا في حالة قبول وترابط بالآخر ؛ وذلك من " خلال حضور الآخر الإنساني، أَو واقعه، في عالم الذات الإبداعية، حضورا يؤكد قيام هذه التجربة في وعي الذات من ناحية، ويجعل – من ناحية ثانية – حضور كالذات في عالمها الإبداعي انبثاقا عن الآخر، أَو تجسيدا له " (الحميري ، 1999 ، 281–282) ، وفي ذلك صورتان الأُولى تجسيدًا لحب الذات تجاه الآخر على سواء والصورة الثانية ردًا على الآخر الخارج المتمثلة بالمشككين بهذه العاطفة تجاه الابنين على سواء، فتكرار هذه الفكرة في اكثر من بيت هو تأكيد لنياته الصادقة تجاه الآخر، وفي البيتين الأخيرين يختم بحكمة وجودية منطقية وهي أن الحياة لا تحلو إلَّا بصلاح الابناء، فالذات هنا تصور قيما ودروسا في أجل معاني التضحية، فهذا يدل على أن السعادة ليست غاية فردية متطبعة بطابع الأنانية بل غاية جماعية تربط بين الذات والآخر لعلاقة مليئة بالعطاء والشعور بالمسؤولية.

قد تدرج الشاعر في كل بيت من أَبيات هذه القصيدة خطوة إيجابية نحو الأمام للتغلب على الصراع الداخلي الذي كانت تعانيه الذات ،فتحولت العلاقة بين الذات والآخر بذلك إلى تجربة وجودية تعرف بالحب والتفاني .

التباين بين الذات والآخر :

يمثل التباين بين الذات والآخر من القضايا التي شغلت فكر الإنسان قديما، والإنسان بطبيعته كائن اجتماعي، فطبيعي أن لا يتفق مع الآخر باختلاف أبعاده النفسية والاجتماعيَّة الفلسفية، الذي يشكل مرآة عاكسة، أَو غريم يعاديه، فهذا قد يؤدي إلى أن " يسير في أحد طريقين، أَو فيهما معا علما بأن كل واحد منهما موصل إلى الآخر، فهو أولاً ينقم على الحدث من حيث أنه صفة للآخر ومظلته، وهو ثانياً ينقم على الآخر، لا من حيث أنه شخص غير ذاته التي بين جنبيه بل من حيث أن الآخر هو سبب الضدية الساخنة بين اتجاه يرتضيه الشاعر وآخر ينقم عليه " (استيتية ، 2003 ، 34) ، والشاعر قادر على أن يترجم ذلك في قصائده فهو " لديه تجارب معينة في حاجة إلى التعبير، وهو يضع في ذهنه دائما إمكان ظهور قصيدة يعبر فيها عن هذه التجارب "(راغب ، د.ت ، 26) ، وابن الزقاق البلنسي حاله حال أي شاعر أخر يعتريه التباين مع الآخر فينقل هذه التجربة إلى لوحات فنية جميلة مليء بالصراعات الاجتماعيَّة أَو السياسية أَو النفسية .

لم يكن الهجاء يوما حكرا على الشعراء إلَّا أنه وجد في الشعر مسرحا واسعا للتفنن وللتعبير عن مكنونات الذات البشرية بتحويل الطاقات اللغوية إلى صور من السخرية والتهكم، الَّذي يمثل في ذاته ظاهرة اجتماعيَّة قبل أن يكون غرضا من اغراض الشعر العربي ؛ ولا سيما أن لجوء الشعراء إلى الهجاء ما هو إلَّا تنفيسا عن الضغوطات الاجتماعيَّة والسياسية (السبعاوي ، 2013 ، 143) التي تعانيها الذات الشاعرة، إلَّا أن الأَندلسيون لم يبلغوا من الهجاء ما بلغه المشارقة (البستاني ، 1968 ، 58) ، بسبب طبيعة البيئة الأَندلسية المترفة والذوق المرهف ؛ لهذا تخلو أغلب الدواوين من قصائد الهجاء ومنهم شاعرنا ابن الزقاق البلنسي إلَّا في ثنايا القصائد أَو مقطوعات قليلة متناثرة في بطون الدواوين ومنها ما قال ابن الزقاق : (ديريني ، د.ت ، 246–247) ، الخفيف .

أيُّها المعتزي لرهط قريش	**وهو أدنى للذمِ عمَّاً وخالا**
حاش لله أن تكون قريشٌ	**تلدُ الساقطين والأرذالا**
كنتَ والله ذا قدومٍ علينا	**لو جعلنا أُيورنا أرسالا**

استهل الشاعر النص من مبدأ الإنكار والرفض ؛ إذ بدأ بنداء تهكمي (أيها المعتزي لرهط قريش) ثم أن هذا الانتساب إلى قريش فيه الكثير من الريبة والسلبية فيُفهم من مبدأ العكس الذي يدل عليه الفعل (الاعتزاء) فهنا انتقاصا من نسب الآخر المهجو الذي جرده من المجد والاصالة الذي ادعاه وهو في ذاته اصغر من ذلك ؛ فضلًا عن التباين الفاضح بين ظاهر الآخر الذي يدعيه من شرف وعز وبين جوهره الذي يتحلى به من دناءة وخسه أي (الادعاء و الحقيقة)، ونؤكد هذا الادعاء بقول الشاعر (وهو أدنى للذم عمَّا وخالا) فقد قدم ابن الزقاق مهجوه الآخر بأبشع صور الاستحقار إذ أقصى ما يهان به العربي هو في نسبه وأصله من جهة الأب وجهة الأم وهذا ما فعله الشاعر تجاه الآخر فألحق به عار النسب، فهنا عمد الشاعر إلى السخرية لغرضين : الأَوَّل لبيان الترابط بين الهجاء والسخرية وتقاربهما في الهدف والأُسلوب فلاجتماعهما الأثر البالغ وتضاعف الوقع في نفسية المهجو (التميمي ، د.ت ، 12) ، والغرض الثاني : لإشباع ذوق المتلقي فضلًا عن الانتقاص والتحقير وابراز الآخر بحجمه الحقيقي ،واستمر الشاعر بالمفارقة الساخرة في البيت الثاني بعد ما لجأ إليها في البيت الأَوَّل لتعميق الانتقام من الآخر في قوله (المعتزي لرهط قريش) و (وهو أدنى للذم عمَّا وخالا)، حين يبرئ قريش من هذا الدنس المتمثل بالآخر في قوله (حاش لله أن تكون قريش تلد الساقطين والأرذالا)، يحمل هذا البيت في ذاته نفياً ظاهرياً وباطنياً فأَمَّا الأَوَّل : فهو تعظيم لقريش ولمكانتها بين العرب، وأَمَّا الباطني : فهو احتقار وانكار لانتماء الآخر إليهم، فبذلك رفع قريشا في موضع النقاء، عندما يقيم تعارضًا بينها وبين (الساقطين والأَرذال) وبذلك يضع الآخر في الخانة الثانية، وبهذه الصورة التي رسمها الشاعر إبرازًا لمكانة الذات الطيبة مقارنة بمكانة الآخر الدنيئة، فنقتبس من ذلك رمزية " الانتماء المرفوض " الذي يعد نقيضا للانتماء الجمعي

الرفيع الذي يقصده ابن الزقاق، فقد استخدم الشاعر صفتين من صفات الاستحقار متتابعتين تحمل في ذاتها انحطاط القيم الاجتماعيَّة، فبذلك ضاعف الشاعر في مخيلة المتلقي من وتيرة الهجاء المركب التي تزيد من قيمة الاحتقار تجاه الآخر، الذي يزيد على ذلك هي المقابلة الضمنية التي رسمها الشاعر بين علو قريس ودنو الآخر، وفي البيت الثالث تتصاعد وتيرة الهجاء؛ إذ لا يكتفي الشاعر بتقليل من نسب الآخر بل يقلل من قيمته الأَخلاقيَّة عندما يصفه بالدخيل على الجماعة إذ لا يمكن أن يتواجد بينهم إِلَّا إذ أنحلت جميع القيم الأَخلاقيَّة المجتمعية لتحمل عبارة (أيورنا أرسالا) رغم قساوة معناها، دلالة رمزية لانهيار الحدود والقيم المجتمعية بوجود الآخر في هذا المجتمع، وهذا هو اجود الهجاء، عندما يسلب الإنسان من جميع الفضائل الحميدة الأَخلاقيَّة والاجتماعيَّة والنفسية وما تركب من ذلك (الأزدي ، 1963–1964 ، 2/ 174) ، وهذا ما جرد الشاعر الآخر عن هذه الصفات، فيدل أَنَّها انتقاصة أَخلاقيَّة لاذعة تبعد الآخر من الدائرة الإِنسانيَّة.

تتسم هذا الأَبيات بالهجاء الشديد الذي خلط السخرية بالاحتقار والمفارقة بالتصريح ؛ فضلًا عن تصاعد وتيرة الشدة من التشكيك بالشرف إِلى النفي، ثم الطرد، واتَّضح من ذلك على الفرق بين الذات المتعالية التي تمثل قريش، والآخر الذي اتسم بالدونية الذي لانسب له ولا أخلاق، والهجاء هنا لم يتطرق لنفي مسألة الأخلاق فقط بالنسبة للآخر بل نفي للمسألة الوجودية له أَيضًا، فكل ذلك تعبير عن مشاعر وأحاسيس الشاعر تجاء الآخر وهذا يعكس توتر العلاقات بين الذات والآخر، وهذا ما جعل المتلقي منسجما لأحداث هذه الصورة التي تدرجت من السخرية إِلى المفارقة ثم الفضيحة وأَخيرًا التشهير، فهذا التصعيد في الأُسلوب جعل من النص ذات فكرة قوية مترابطة الأبعاد ،فأبعد بين مقام الذات والآخر .

وله أَبيات أُخرى يهجو بها شخصاً متصدراً للمشهد السياسي أَو الاجتماعي يقول فيه :

(ديريني ، د.ت ، 295) ، الوافر .

رئيسُ الشرقِ محمودُ السجايا يقصِّرُ عن مدائِحِهِ البليغ

نُسمِّيهِ بيحيى وهو ميتٌ كما أنَّ السليمَ هو اللديغ

يعافُ الوِرْدَ إن ظمئتْ حشاه وفي مال اليتيمِ له ولوغ

يصور الشاعر في هذه الأَبيات مشهدا ساخرا عن الآخر بطريقة عكسية ظاهرها المديح وباطنها النقد اللاذع الذي ينكشف تدريجيا، ليستعمل الشاعر صور التمجيد وليحولها بأُسلوبه البديع إِلى سلاح هجائي ليبين حقيقة المهجو التي هو عليها، فيبدأ الشاعر البيت بالقاب وصفات حميدة ؛ إِذ يصفه بـ (رئيس الشرق) و بـ (محمود السجايا) فهنا يتخيل المتلقي انه نص مديح ينهال على الممدوح بالصفات الحميدة، لكن سرعان ما يلبث

الشاعر بأن ينسف هذه الهالة المزيفة عن الآخر بقوله (يقصّر عن مدائحه البليغ)، إي أنه احقر مِمَّا يقال فيه من تمجيد وتحميد، فقد أحدث الشاعر انتقالة جميلة في مخيلة المتلقي عن الآخر التي تبنى على المفارقة بين الظاهر والباطن، هنا تبرز الذات كونها صوت الحقيقة، التي اطاحت بالصور الخداعة التي ترسم للآخر، ويكمن في هذا البيت أَيضًا النقد الاجتماعي الضمني، للذين يتملقون للحاكم وصاحب السلطة فينعتونه بالخصال الحميدة لأغراض شخصية، وكثرة المتملقين جعل من الحاكم أَو صاحب السلطة يصدق ما يُصف به، فانغرّ بنفسه الضعيفة، وفي البيت الثاني تتعالى سخرية الذات من الآخر عندما ينتقل ابن الزقاق من التلميح إِلى التصريح الواضح والفاضح للآخر، فيركز على التناقض الحاصل بين الاسم ومعناه ، ف (يحيى) رمز الحياة، لكن الواقع يخالف ذلك؛ إِذ يقرّ بأَنَّه (ميت) ويأتي التشبيه (كما أن السليم هو اللديغ) ليفصح عن ذلك، وبذلك تبرز الذات الواعية بالواقع الذي هو فيه من تزيفٍ للحقائق ، والآخر الذي هو رمز للخداع الاجتماعي والسياسي، يعيش وراء قناع واهن، وفي البيت الثالث تظهر حقيقة الآخر بصورة جلية، الذي يرفض الطاهر الطيب ويلجأ إِلى الدنيء الخبيث، فقد لجأ الشاعر إِلى الرمز في (الورد) فالماء رمز الحياة والمباح والنقاء، و (مال اليتيم) رمز الخيانة والانحطاط الاخلاقي والقيمي، وذلك لإسقاط قناع الآخر بالنسبة للشاعر وصور صريحة لبيان حقيقة الآخر للمتلقي (أحمد ، 1977 ، 33) ، ففي الحالتين يفي الرمز بدوره في الكشف عن دلالات النص القريبة والبعيدة، وتحفيز مخيلة المتلقي في التفاعل مع هذه الصور التصويرية الإيحائية التي رسمها الشاعر للتأثير في الآخر والمتلقي، وهنا ترتفع الذات إِلى مقام الحكم، بوصفها قيمة أَخلاقيَّة إِنسانيَّة، تعادي الآخر الذي هو رمز للخيانة والدنس والانحراف الأخلاقي .

لا ترتكز هذه الأَبيات على الهجاء المباشر بل على الصور اللغوية كالمفارقات التي تتلاعب بها بمخيلة المتلقي، والأُسلوبية كالتناقض الَّذي يؤثر في ذات المتلقي ، والصوتية كالطباق الذي ينقلنا من الرقة إِلى الخشونة، ومن الانفتاح إِلى الانغلاق في (السليم واللديغ – و الورد و الولوغ)، ومن الحياة إِلى الموت في (يحيى و ميت)، التي تكشف حقيقة الآخر بالإِيقاع كما باللفظ (الربيعي ، 2019 ، 429) ، فبذلك تتحلى الذات بالوعي والإِدراك، في مقابلة الآخر الذي يحمل في ذاته الانحدار و المزيف .

تصدر (الواشي) أغلب قصائد الغزل كونه بنية أساسية في الخطاب الشعري للقصيدة الغزلية، الَّذي يحمل طابعا رمزيا جسد شخصية الرقيب والجاسوس، فقد انعكست هذه الصورة لتمثل الآخر الذي يراقب الذات ويتربص به ليخلق حالة من التوتر والقلق تجاه المجتمع، فبذلك يصتدم الذات بالآخر، فيلجأ الشاعر إِلى الشعر كونه لعبته التي يتقنها ؛ لأن الشعر هي الوسيلة الأكثر تأثيرا في الخصوم وتتجاوز التأثير المادي أحيانا، كونه أُسلوب فعال للتعبير عن النزاع حسب الدائرة المتاحة للشاعر (القيسي ، 1981 ، 21–22) ، فبذلك يقلل من شأن الآخر الواشي الذي يفسد عليه لحظات الأنس والفرح، ويضفي طابعا اجتماعيا ونفسيا وفلسفيا للقصيدة العربية بشكل خاص للأدب العربي بشكل عام .

لابن الزقاق البلنسي في الوشاة بيتين من قصيدة غزلية يقول فيها :(ديريني ، د.ت ،211) البسيط .

زارتكَ من رِقْبةِ الواشي على فَرَقٍ حتى تبدَّى وميضُ المرْهَفِ الذَّلِقِ

فخفَّض الجأش منها أن ملكتُ يدَيْ نهرٍ يَغصُّ به الواشون منْ شَرَق

يصور لنا الشاعر مشهدا يشوبه التوتر والخوف والقلق من زيارة الحبيبة، الَّتي تحمل دلالات خبيثة من قبل الواشي الذي يبدو هو من كان السبب في الزيارة (رقبة الواشي) بقصد الإيقاع بالذات الحبيب، وهنا كأن الشاعر يعلم بهذه المكيدة التي أرادها الآخر (الواشي) الذي يتحرك بقلق وتوتر من قوله : (على فرق)، إلَّا أن الشاعر حول المشهد من مشهد مليء بالتوتر والقلق إلى مشهد القوة والهيمنة من قبل الشاعر تجاه الآخر الواشي وذلك في قوله (حتى تبدّى وميض المرهف الذلق) فقد رسم ابن الزقاق فضاء شعريا بالصورة البصرية، التي تنقل مشاعره وأفكاره إلى المتلقي بصورة تجسيدية (ريفاتير ، 1993 ، 155) ، لترسيخ هذا المشهد في مخيلة المتلقي، فضلًا عن الاستعارة في لمعان السيف في قوله (وميض) وهو استشعار للآخر بالانقضاض عليه، وبالقوة في عبارة (المرهف الذلق) بأَنَّه سيف رشيق حاد، فبذلك تحول الشاعر من حالة التوتر والترقب إلى حالة القوة والسيطرة، وفي البيت الثاني حصل الشاعر على دافع نفسي ومعنوي بالقوة بعدما انتقل من الانفعال والاضطراب إلى الطمأنينة في قوله (فخفّض الجأش منها) وجاء هذا في قوله (أن ملكتُ يدي نهرٍ) فامتلاك النهر دلالة على القوة التي لا تقهر بحكم رمزيته، وبذلك تجلى التباين بين الذات والآخر في النهر الذي امتلكه الشاعر وهو نفسه الذي (يغص به الواشون من شرق)، فهذه الصورة تبرز عجز الآخر باختناق أَصواتهم أمام الذات .

ففي هذه النص يتجسد التباين بين الذات الشاعرة والآخر الواشي في صورة درامية مليئة بالتوتر والانتصار؛ إذ تصدرت الذات موقع القوة والهيبة، والآخر (الواشي) موقع الضعف والخوف.

يشكل الزمن في الأَدب العربي محوراً أساسياً في هيكلية النص الأَدبي؛ إذ تتضارب رؤية الإنسان مع الزمن الذي يشكل العدو الأَوَّل، وبذلك يظهر التباين بين الذات والآخر (الزمن)، الذي يشكل قوة تتعارض مع أفكار الذات التي تنظر للزمن نظرة سلبية ونعتته بالغادر والخائن والزمن ليس سوى " ظرف لما تجري به المقادير، غير أنها خطرة من خطرات النفس جرت بها الألسنة والأقلام من غابر الأيام " (الراوي ، د.ت ، 253) ، إلَّا أن علاقته مع الأديب جدلية ووجودية، فهذا ما دفع الشاعر بالتفكير في الحياة؛ لأَنَّ الزمن مرتبط بالحياة الوجودية، فيقوم الأديب " بصياغة خبرته في الحياة على أساس زمني، وتتجلى المواجهة مع الزمن عند بني الإنسان في أعمق صورها في الإبداعات الأَدبية لأن الأَدب نشاط وجودي " (سلطان ، 2005 ، 16) ، فبذلك تكسب البنية الدلالية للنص الأَدبي بعداً جماليا فلسفيا، ولأبن الزقاق أَبيات من قصيدة طويلة، يقول فيها : (ديريني ، د.ت ،231-232) الوافر .

وحسبي نجدةً أنْ قارعتني	**صروفٌ حالها أبداً تحول**
وهذا الدهرُ سوف يكونُ بيني	**وبين خطوبِهِ عَتْبٌ طويل**
وفيما قد بلوت من الليالي	**عزاء أن يلازمني الخمول**
دوائرها ترفَّع كلَّ نذلٍ	**وتخفضُ من له مجدٌ أثيل**
وقد نلت التجمّل في زمان	**قبيح عند أهليه الجميل**
شراب المعلوات به سراب	**ومنتجع الندى طلل محيل**
وأعلام المودّة طامسات	**فلا عيش يَسُرُّ ولا خليل**

ينقل لنا ابن الزقاق في هذا النص صورة تحمل في طياتها فلسفة وجودية للزمن المعادي الذي كرس جل جهوده لمعاداة الشاعر الذي يعتمد على ذاته دون طلب المساعدة من العالم الخارجي وذلك في البيت الأَوَّل، الذي يظهر قوته (نجدة) مقابل الزمن المتقلب (صروف) الذي لا يستقر على حال، ويبدأ التباين من اللحظة الأُولى بين الذات الثابتة والزمن (الآخر) السلبي الذي يخوض معركة وجودية وبذلك تتضح العلاقة المتوترة من هذا التباين، ويبقى الشاعر متوترا في البيت الثاني، إِلَّا أن وتيرة التوتر تتصاعد مِمَّا جعل الشاعر يحول طبيعة الحرب إلى حرب غير عدوانية بالعتاب؛ لأَنَّه يدرك بأَنَّ الغلبة ستكون من نصيب الآخر (الزمن)، الذي أسند الفعل (يكون) والعتاب للآخر (الزمن) ذلك تشخيص للزمن ككائن حي، ففي ذلك تعبير بالمحسوس عن المجرد الذي يعد من أسس البناء الشعري، بل الأصل في تسمية الصورة التي تنقل الأَحداث إِلى مخيلة المتلقي مباشرة عن طريق الحواس كتجربة شعرية (حسين ، 2010 ، 204) ، فهذا الإحساس يجسد لنا المعاناة التي تستمر في ذات الشاعر إِلى المستقبل، ففي البيت الثالث يظهر تحول آخر في موقف ذات الشاعر بعد التصدي ثم العتاب وبعدها انطوى على نفسه والتزم بالسكوت، فبذلك يحمل الشاعر في ذاته قيمة سلبية يعيش بسببها حال من الاضطراب الداخلي ؛ لأن الزمن ظالم لا ينصف الحق فيرفع من لا قيمة له، وهنا أَيضًا برز التباين بين الذات والآخر هروبا من عجلة الزمن العوجاء، والبيت الرابع يؤيد ما قلناه في انعكاس المعايير الاجتماعيَّة لرفع الرديء وخفض الجيد الأصيل وبذلك يستمر الشاعر في فلسفته الوجودية تجاه الآخر الذي عكس قوانين الحقيقة وقد كرر الشاعر التشخيص مرة أُخرى في هذا البيت لتثبيت الصور المزيفة للآخر في مخيلة المتلقي، ولجأ أَيضًا إِلى التضاد البصر في حركة عكسية مستمرة في (ترفع ، تخفض) الذي يصور حالة من انهيار القيم والانظمة في المجتمعات عامة، ووظف المفارقة في المقابلة بين (ترفع كل نذل وتخفض من له مجد) فيتضح من ذلك استمرارية الشاعر المضطرب النفسية الذي يعاني بسبب عجلة الزمن المعادي، والبيت الخامس يزيد من حدة هذه

المفارقة الأَخلاقيَّة التي تتضح من الطباق بين (قبيح وجميل) التي جعلته يتصف بما هو ليس أهل له فيلبس قناعا ليتوافق مع الآخر (الزمن) الذي يدل على ذلك قوله (التجمّل)، وبذلك اضطرّ أن يعيش حالة من الاغتراب النفسي، الذي يعد من أشد أنواع النفي والطرد الداخلي من عالم الإحساس والانتماء داخليا وخارجيا (النوري ، 1979 ، 31–32) ، فهذا ما دفع الشاعر إلى أن يعيش في دائرة مغلقة فنقلها إِلى المتلقي عن طريق ترجمتها شعرا بصورة صادقة، فيستمر الشاعر في توظيف الصور الشعرية لتأكيد فكرة التباين بين الذات والآخر (الزمن)، وهذا ما جاء به البيت السادس من زخم من الصور التي تحمل في ذاتها خيبة أمل كبيرة، أن كل ما يسعى إليه الإنسان من أمجاد ما هي إِلَّا سراب واهم وطلل خامد، فالآخر هنا يقدم أَوهامًا بلا حقائق وصور بلا مغزى، ليجعل الذات في خانة العدم، فالصور التي جاءت في هذا البيت كالاستعارة في قوله (شراب المعلوات به سراب) استعارة عن خيبة الأمل و (طلل محيل) استعارة عن المكان المهجور فهو رمز للفقد ؛ فضلًا عن الكناية في (منتجع الندى) كناية عن مواضع الكرم، فهذه الصور البصرية هي أبلغ ما جاء من الخيال السلبي لترسم الحقيقة في وهم بصري، وتُعد قوة الشعر التي ترسم قيما جمالية ومقومات فنية تأهلها لنقل التجربة الشعورية في نفسية الشاعر (العالم ، 2002 ، 88) ، عبر دقائق صغيرة إِلى مخيلة المتلقي بطريقة واضحة وسلسة .

وقد ختم الشاعر أَبياته التي يشتكي فيها من الزمن المعادي بصوت خافت يدل على الانطفاء والكأبة، الذي جعل من الذات أن يفقد كل السبل التي تربطه بالزمن وحتى الناس الذين غيرّهم الزمن المعادي، فبذلك انتقل الاغتراب الذاتي الذي يعانيه الشاعر إِلى اغتراب خارجي يشمل الزمن وحتى المجتمع الذي ينتمي إليه، فتضاعفت فجوة التباين بين الذات والآخر، وفي هذا البيت كذلك أكثر الشاعر من الصور الشعرية البصرية في الاستعارة في (واعلام المودة طامسات) عن اندثار الحب والوفاء ،/ وفي الطباق في (يسر ولا يسر – خليل ولا خليل)، والتشخيص في (أعلام المودة) فعاملها معاملة المحسوس المرئي، وكذلك الكناية في (لا خليل) كناية عن انقطاع الصداقة والأنس، حاله حال بقية الأَبيات، فكل ذلك لينقل إِلى المتلقي ما يعانيه من خبايا نفسية واضطرابات داخلية ومشاعر وأفكار كلها " تزخر بالدلالات والإيحاءات والقيم التعبيرية "(جلولي ، 2008 ، 63) ، فضلًا عن الموسيقى الخارجية والداخلية من فنون بلاغية كطباق ومقابلة وتوازي وجناس وتضاد، جاءت متماشية مع فكرة النص الأَدبي التي تضفي طابعاً حزيناً كثيفاً يتلاءم مع الحزن والخذلان الاغتراب، وتعكس حالة الشاعر الشعورية المضطربة المتأزمة في علاقتها مع الآخر، التي تدرجت من الأعلى إِلى الأدنى من المقاومة والصمود في البيت الأَوَّل ثم العتاب والانكفاء، فالخذلان، ثم الخداع والانطفاء، فهذا التحول يبين عمق التباين والصراع الوجودي والفلسفة السوداوية في ذات الشاعر تجاه الآخر .

نتائج البحث :

- يتجاوز الآخر في شعر ابن الزقاق كونه شخصية خارجية، ليصبح جزءًا من التكوين الداخلي للذات، يتفاعل معها ويعيد تشكيل رؤيتها للزمن والمعنى، ما يمنح التجربة الشعرية طابعًا وجدانيًا عميقًا.
- تظهر العلاقة بين الذات والآخر بوصفها علاقة تفاعل واحترام متبادل، لا تقوم على الصراع بل على التكامل، حيث يحتفظ كل طرف بحدوده دون انصهار أو إقصاء.
- يُجسد ابن الزقاق الزمن كآخر متقلّب وخائن، والواشي كعدو متربّص، لكنه يكرّس في المقابل تفوّق الذات من خلال امتلاكها أدوات المقاومة والوعي، مما يعكس صراعًا وجوديًا أكثر منه شخصيًا.
- حضور المرأة في شعره لا بوصفها موضوعًا غزليًا سطحيًا، بل كآخر يشكل ملاذاً نفسياً وعاطفياً في لحظات الاغتراب، ما يضفي على حضورها بُعدًا إنسانيًا عميقًا.
- يعبر الشاعر عن اغترابه عن مجتمع مزيّف ومتقلب، يقابل فيه الذات النبيلة آخرًا فاسدًا أخلاقيًا، مما يولّد توترًا نفسيًا وشعورًا بالانعزال، حتى في ظل الاندماج الظاهري بالبيئة.
- ينتقد الشاعر الآخر المتصدّر للمشهد الثقافي والاجتماعي، كاشفًا زيفه وانحداره، مقابل ذات ناقدة متبصّرة ترى وتدين التناقض القيمي من حولها.
- اعتمد ابن الزقاق على صور بصرية وبلاغية ثرية لنقل علاقته بالآخر، مما منح تجربته الشعرية بعدًا جماليًا خاصًا، يربط بين الإبداع الفني والتأمل الوجودي.

قائمة المصادر :

- أحمد ، د. محمد فتوح أحمد ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، دار المعارف، القاهرة، د. ط، 1977م، 33 .
- الأزدي ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثالثة، 1963-1964م.
- استيتية ، د. سمير شريف استيتية ، منازل الرؤيا منهج تكاملي في قراءة النص ، دار وائل للنشر، عمان – الأردن، الطبعة الأُولى، 2003م.
- البستاني ، بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأَندلس وعصر الانبعاث (حياتهم – آثارهم – نقد آثارهم) ، دار المكشوف ودار الثقافة، بيروت، الطبعة السادسة، 1968م.
- البياتي ، سنا حميد البياتي ، البناء الفني في شعر الحب العذري في العصر الأموي ، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، إشراف، د. عمر محمد الطالب، 1989م.
- التميمي ، د. قحطان رشيد التميمي ، اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، طبعة المسيرة، بيروت لبنان، د، ت .
- جرجيس ، نور خيرالله محمد جرجيس ، البنية الإيقاعية في خطاب علوي الهاشمي النقدي، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة، جامعة الموصل، إشراف : د. جاسم محمد جاسم، 1435هـ – 2014م.
- جلولي ، العبد جلولي ، توظيف الحواس في تشكيل الصورة ، مجلة الموقف الأَدبي، العدد أربعمائة وواحد واربعون، 2008 م.
- حسين ، رباب هاشم حسين ، الحيوان رمزا – الشعر العراقي الحديث – ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، الطبعة الأُولى، 2010م.
- الحميري ، د. عبدالواسع الحميري ، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأُولى، 1999م.
- الخفاجي ، الدكتور : كاظم فاخر حاجم الخفاجي ، الآخر ... في ميزان النقد الأَدبي ، مجلة جامعة ذي قار، المجلد : 5، العدد : 1، حزيران، 2009 م .
- ديريني ، عفيفة محمود ديريني ، ديوان ابن الزقاق البلنسي ، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت – لبنان .
- الراشدي ، د. سعد حمد يونس الراشدي ، الآخر في شعر المتنبي، ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأُولى، 2016 م .

- راغب ، د. نبيل راغب، النقد الفني ، دار مصر للطباعة، د. ط، د. ت .
- الراوي ، عبداللطيف عبد الرحمن الراوي ، المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري، ، مكتبة النهضة، بغداد، د.ط، د.ت .
- الربيعي ، د. أحمد حاجم الربيعي ، صورة الآخر في الشعر الأَندلسي والمغربي ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأُولى ، 1440 هـ – 2019 م.
- رسل ، برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل، ترجمة : عبدالكريم ناصيف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأُولى ،2020م .
- ريفاتير ، ميخائيل ريفاتير ، معايير تحليل الأُسلوب ، ترجمة وتعليق : د. حميد الحمداني، دار النجاح الجديد، دار البيضاء، الطبعة الأُولى، 1993 م .
- السبعاوي ، عبد الحافظ خلف صالح السبعاوي ، الآخر في شعر ابن زيدون ، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، إشراف : د. سالم محمد ذنون العكيدي ، 1434هـ– 2013م .
- سلطان ، حسن صالح سلطان ، موقف الشعراء في عصر ما قبل الإسلام تجاه الزمن بين التحدي والاستسلام، ، أطروحة دكتوراه كلية اللآداب 2005 م .
- الشايب ، أحمد الشايب ، أصول النقد الأَدبي، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة –، الطبعة السابعة، 1964م.
- صديق ، د. منتصر نبيه صديق ، الذات والآخر في الشعر الأَندلسي عصر ملوك الطوائف ، دار النابغة للنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، 1442هـ – 2021م .
- الصديقي ، د. عبداللطيف الصديقي ، الزمان وأبعاده وبنيته ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت –، الطبعة الأُولى، 1415هـ – 1995م .
- العالم ، د. إسماعيل أحمد العالم ، موضوعات الصورة الشعرية في شعر طرفة ابن العبد ومصادرها ، مجلة دمشق، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني , 2002 م.
- الغزالي ، د. عبدالقادر الغزالي ،الصورة الشعرية وأسئلة الذات (قراءة في شعر حسن نجمي)، مؤسسة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة : الأُولى، 2004م.
- القيسي ، نوري حمودي القيسي ، شعر الحرب عند العرب ، المؤسسة الصغيرة (87)، دار الحرية للطباعة، بغداد، د. ط، 1981م.
- محمد ، د. فيصل غازي محمد ، الأنا والآخر في رواية المسافات الطويلة لعبد الرحمن منيف مقاربة في الممانعة والمثاقفة، د. فيصل غازي محمد، مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، المجلد : 13، العدد : 3، 2006 م .

- محمود ، د. نافع محمود ، اتجاهات الشعر الأَندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، الطبعة الأُولى، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1999م.
- ناظم ، د. نادر ناظم ، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي والوسيط ، دار فارس للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، الطبعة الأُولى، 2004م.
- النوري ، قيس النوري ، الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً ، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد العاشر، العدد الأَوَّل، 1979م .

Bibliography of Arabic References (Translated to English)

- Ahmed, Dr. Muhammad Fattouh Ahmed, Symbol and Symbolism in Contemporary Poetry, Dar Al-Maaref, Cairo, 1st ed., 1977AD, . 33
- Al-Azdi, Abu Ali Al-Hasan bin Rasheeq Al-Qayrawani Al-Azdi, The Pillar of the Beauties of Poetry, its Etiquette and Criticism, edited, detailed and annotated by : Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Al-Saada Press, Egypt, third edition, 1964-1963AD.
- Istitieh, Dr. Samir Sharif Istitieh, Mansions of Vision: An Integrated Approach to Reading Texts, Wael Publishing House, Amman - Jordan, First Edition, . 2003
- Al-Bustani, Butrus Al-Bustani, Arab Writers in Andalusia and the Era of Revival (Their Lives – Their Works – Criticism of Their Works), Dar Al-Makshuf and Dar Al-Thaqafa, Beirut, sixth edition, 1968AD.
- Al-Bayati, Sana Hamid Al-Bayati, Artistic Structure in Platonic Love Poetry in the Umayyad Era, PhD Thesis, College of Arts, University of Baghdad, Supervised by Dr. Omar Muhammad Al-Talib, 1989AD.
- Al-Tamimi, Dr. Qahtan Rashid Al-Tamimi, Trends in Satire in the Third Century AH, Al-Masirah Edition, Beirut, Lebanon , n.d.
- Jirjis, Nour Khairallah Muhammad Jirjis, The Rhythmic Structure in Alawi Al-Hashemi's Critical Discourse, Master's Thesis, College of Education for Humanities, University of Mosul, Supervised by: Dr. Jassim Muhammad Jassim, 1435AH - 2014AD.
- Jalouli, Abd Jalouli, Employing the Senses in Forming the Image, Al-Mawqif Al-Adabi Magazine, Issue Four Hundred and Forty-One, 2008AD.
- Hussein, Rabab Hashim Hussein, The Animal as a Symbol - Modern Iraqi Poetry - Al-Farahidi Publishing and Distribution House, Baghdad, First Edition, . 2010

- Al-Hamri, Dr. Abdul-Wasie Al-Hamri, The Poetic Self in Modern Arab Poetry, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, First Edition, . 1999
- Al-Khafaji, Dr.: Kazim Fakher Hajim Al-Khafaji, The Other... in the Balance of Literary Criticism, Journal of the University of Dhi Qar, Volume: 5, Issue: 1, June 2009AD.
- Dereni, Afifa Mahmoud Dereni, Diwan of Ibn Al-Zaqqaq Al-Balansi, published and distributed by Dar Al-Thaqafa, Beirut - Lebanon.
- Al-Rashidi, Dr. Saad Hamad Younis Al-Rashidi, The Other in Al-Mutanabbi's Poetry, Majdalawi Publishing and Distribution House, Amman, First Edition, 2016AD.
- Ragheb, Dr. Nabil Ragheb, Art Criticism, Dar Misr for Printing, n.d., n.d.
- Al-Rawi, Abdul Latif Abdul Rahman Al-Rawi, Iraqi Society in the Poetry of the Fourth Century AH, Al-Nahda Library, Baghdad, n.d , n.d.
- Al-Rubaie, Dr. Ahmed Hajem Al-Rubaie, The Image of the Other in Andalusian and Moroccan Poetry, Ghaida Publishing and Distribution House, Amman, First Edition, 1440AH - 2019AD.
- Russell, Bertrand Russell, History of Western Philosophy, Bertrand Russell, translated by: Abdul Karim Nassif, Al-Takween House for Authorship, Translation and Publishing, first edition, 2020AD.
- Riffaterre, Michael Riffaterre, Criteria for Stylistic Analysis, translated and commented on by: Dr. Hamid Al-Hamdani, Dar Al-Najah Al-Jadeed, Casablanca, first edition, 1993AD.
- Al-Sabaawi, Abdul-Hafiz Khalaf Salih Al-Sabaawi, The Other in the Poetry of Ibn Zaydoun, Master's Thesis, College of Education, University of Mosul, Supervised by: Dr. Salem Muhammad Dhanun Al-Aqidi, 1434AH - 2013AD.
- Sultan, Hassan Saleh Sultan, The Position of Poets in the Pre-Islamic Era Towards Time Between Challenge and Surrender, PhD Thesis, Faculty of Arts, 2005AD.
- Al-Shaib, Ahmed Al-Shaib, Principles of Literary Criticism, Egyptian Renaissance Library - Cairo -, Seventh Edition, 1964AD.

  •Siddiq, Dr. Montaser Nabih Siddiq, The Self and the Other in Andalusian Poetry in the Era of the Taifa Kings, Dar Al-Nabigha for Publishing and Distribution, First Edition, 1442AH - 2021AD.
- Al-Siddiqi, Dr. Abdul Latif Al-Siddiqi, Time, Its Dimensions and Structure, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution - Beirut -, First Edition, 1415AH - 1995AD.

- Al-Alam, Dr. Ismail Ahmed Al-Alam, Topics of the Poetic Image in the Poetry of Tarafa Ibn Al-Abd and Its Sources, Damascus Magazine, Volume Eighteen, Issue Two, 2002AD.
- Al-Ghazali, Dr. Abdul Qader Al-Ghazali, The Poetic Image and Questions of the Self (A Reading of Hassan Najmi's Poetry), Dar Al-Thaqafa Foundation for Publishing and Distribution, Casablanca, Edition: First, 2004AD.
- Al-Qaisi, Nouri Hamoudi Al-Qaisi, War Poetry among the Arabs, Small Foundation (87), Dar Al-Hurriyah for Printing, Baghdad, n.d., 1981AD.

- Muhammad, Dr. Faisal Ghazi Muhammad, The Self and the Other in the Novel "Long Distances" by Abdul Rahman Munif: An Approach to Resistance and Acculturation, Dr. Faisal Ghazi Muhammad, Journal of Education and Science, College of Education, University of Mosul, Volume: 13, Issue: 3, 2006AD.
- Mahmoud, Dr. Nafi Mahmoud, Trends in Andalusian Poetry until the End of the Third Century AH, First Edition, Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyah, Baghdad, 1999 AD.
- Nazem, Dr. Nader Nazem, Representations of the Other: The Image of Black People in the Arab and Medieval Imagination, Fares Publishing and Distribution House, Arab Foundation for Studies and Publishing, Jordan, First Edition, . 2004
- Al-Nouri, Qais Al-Nouri, Alienation: Terminology, Concept, and Reality, Alam Al-Fikr Magazine, Kuwait, Volume Ten, Issue One, 1979AD